الخاتمة

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب علي كل شيء نهاية ، وتفرد بالبقاء والسيادة ، والصلاة والسلام علي رسول السلامة ، وعلي آله وصحبه نجوم الهداية .

أما بعد ...

* فبعد هذه السياحة العلمية المباركة مع العلامة شمس الدين الكيشي وإرشاده ، يرصد البحث هنا أهم ما استخلصه من نتائج من خلال الدرس والمناقشة ، فدونك هي :

١ - ضنت كتب التراجم علينا بأخبار الكيشي ، فصار « الإرشاد » أصدق مترجم لنا عن شخصيته وأفكاره .

٢ - للإرشاد أهمية خاصة ، وقيمة علمية متميزة ؛ ذلك أنه مرتبط بكتاب « الإيضاح العضدي » لأبي علي الفارسي ، ذلك الكتاب الذي كان - ولا يزال - من أهم مصادر النحو العربي المنهجية ، وذلك بما حواه من مادة علمية عميقة ساقها الأستاذ أبو علي الفارسي في منهج علمي تعليمي متميز عما سبقه من المؤلفات النحوية .

٣ - تنقل الكيشي في صياغته للقاعدة النحوية بين قوالب متعددة ، جعلت المتلقي علي اتصال دائم بالنص ، شغوفاً لما يأتي بعد .

٤ - ألح الكيشي في إرشاده علي قضية هامة مفادها أن صحة اللفظ إعراباً وبناء لا يمكن بحال أن تكون هدفاً ، أو مغنماً يرتضيه متحدث العربية حتى ينضم إلي ذلك صحة المعني .

٥ - عني الكيشي في مسائله بذكر كثير من القواعد والأصول العامة التي تهدي السالك ،

وتعينه علي إبراز رأيه ، وترجيح قياسه .

٦- لم يترك الكيشي في شرحه شاردة ، ولا واردة إلا وعلل لها ، كما تجلت عنايته بالتقسيم والتفريع ، وحسن التسلسل المنطقي ؛ رغبة منه في ضبط القاعدة ، وإقناع المتلقي ؛ تنشيطاً لذهنه ، وتوسيعاً لمداركه .

٧- تجلت في « الإرشاد » ثقافة الكيشي الفقهية ، فكثيراً ما كان يستخدم الحكم النحوي كأداة فعالة في استخراج الحكم الفقهي .

٨- عول الكيشي في إرشاده علي آراء جلة من العلماء السابقين عليه كـ :(الخليل ، وسيبويه ، والأخفش ، والفراء ، والمبرد ، والفارسي ، وابن السراج ، والجرجاني ، والزمخشري ، والخوارزمي ، والعكبري ، وابن الحاجب) كما تنوعت مصادره بين كتب (النحو ، والشعر ، والنوادر ، والتفسير ، والقراءات ، والفقه ، والجدل ، والمنطق) .

٩- ناقش الكيشي النقول ومحصها ، وافترض السؤال ، والجواب ، والاعتراض ، والرد ؛ وصولاً بالحكم النحوي إلي أقوي الوجوه ، وأسلم المذاهب .

١٠- تابع الكيشي المنهج العام الذي اختطه لإرشاده ، ولم يحد عن الطريق المرسومة ، حيث الإيجاز والاختصار والجمعية لعيون علم الإعراب ، مع السهولة واليسر ، والبساطة في عرض القواعد النحوية ؛ تسهيلا علي المبتدئين ، وتحقيقاً لغرض التأليف التعليمي .

١١- سار الكيشي في ترتيب أبوابه علي ترتيب « الإيضاح » ، لم يتصرف في ذلك إلا في مواضع يسيرة ، غير أنه لم يكتف لنفسه من «إيضاح» الفارسى بدور الشارح ، أو المعلل ، أو الموجه ، بل كان ذا شخصية بارزة ، حيث اعترض ، واستدرك علي أبي علي ما يراه لازماً

لإقامة إيضاحه علي الجادة .

١٢ - كان النقل والسماع عند الكيشي صلب الاحتجاج شعراً كان أو نثراً ، فلقد حل الشاهد القرآني وقراءاته عنده محلة لا تداني ، ومنزلة لا تباري ، حتى بلغت شواهده القرآنية نحوا من مائتي آية ؛ كما كان الكيشي مؤيداً للاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ، فقد جاء في إرشاده بما يربو علي عشرة أحاديث .

- كما اهتم بالشاهد الشعري كدعامة أساسية للاستشهاد ، فحشد في إرشاده ما يقرب من مائتين وستين شاهداً .

١٣ - لم يختلف فكر الكيشي في قضية العامل عن فكر أسلافه ، فالإعراب عنده ضرورة للفصل بين المعاني ، وأن التغيير الذي يلحق آخر الكلمة ناتج عن تغير العامل ، وأي تغيير غير ناتج عن تغير العامل لا يعد إعراباً .

١٤ - كان الكيشي صاحب اتجاه بصري ، تجلي بوضوح من خلال مصطلحاته ، وآرائه في مسائل الخلاف ، وعده نفسه من البصريين ، ولكنه مع ذلك لم يتورع عن الرد ، والاعتراض علي بعض العلماء البصريين ، وقبول أقوال آخرين منهم ؛ لاقتناعه الكافي بما استندوا إليه من حجج وبراهين ، الأمر الذي يدل علي أن إتباعه للمنهج البصري لم يكن ناتجاً عن هوي أو تحيز ، وإنما كان نابعاً من عقلية واعية ، وفكر مستنير .

١٥ - كان للكيشي بعض عناية بالمذهب الكوفي ، تمثل ذلك في موافقته لهم في بعض آرائهم ، والاستدلال بقراءاتهم .

١٦ - وضحت شخصية الكيشي في كل باب ، وظهرت نزعته الاجتهادية وراء كل جزئية ، في عصر استقراء المذاهب النحوية ، والترجيح بينها الأمر الذي أدي إلي تفرده

بتحقيقات علمية ، وزيادات موضوعية من لطائف ، ونكات ، ومسائل ، وعلل تمس الحاجة إليها في كل باب ، حتى وصل الحال إلي إنكار الاستثناء المفرغ ؛ لعدم انطباق حد الاستثناء عليه ، واعتبار اسم (كان) فاعل حقيقة .

١٧ - كشف البحث عن السير الزمني للقضية النحوية موضوع الخلاف ابتداء من الخليل ، وسيبويه ، والأخفش ، والمبرد ، والزجاج ، وابن السراج ، والفارسى ، وابن جني ، والأنبا ري ، وابن الأثير ، وابن معط ، وابن الخباز ، وابن يعيش ، وابن عصفور ، وابن مالك ..... ، وحتى الكيشي ، ومن جاء بعده أمثال : النيلي ، وابن القواس ، وأبي حيان ، والمرادي ، وابن هشام ، والأشموني ، والشيخ خالد الأزهري ، وغيرهم ، مع بيان موقف الكيشي ممن سبقوه .

١٨ - أثبت البحث أن الكيشي كان شغوفاً بذكر مسائل الخلاف النحوي ، ليس بين علماء البصرة والكوفة فقط ، بل بين النحاة الذين سبقوه من بغداديين ، وبصريين ، وكوفيين ، الأمر الذي أوضح أن الخلاف ليس جماعياً يضع كل مدرسة بكامل أعلامها أمام منهج مقابل لمنهج المدرسة الأخرى ، بل قد ينضم أحد أعلام المدرستين إلي المدرسة الأخرى موافقاً لها في الرأي ، ومخالفاً لرأي مدرسته .

١٩ - يلاحظ أن كثيرًا من مسائل الخلاف النحوي لا يجدي كثير منفعة على الباحثين ، ولا يثري الدراسات اللغوية بشيء ذى بال ، حيث يدور في نطاق نظري ، ويحتوي علي أكبر قدر من الصراع العقلي .

٢٠ - هناك من السماع ما يجب احترامه ؛ لوروده عن العرب ، وسماعه منهم ، غير أنه ينبغي أن يحفظ ، ولا يقاس عليه ؛ حتى لا يؤدي ذلك إلي فوضي التعبير، والخروج علي الجمهرة المخالفة لذلك .

٢١- يلاحظ أن النحاة في كثير من المسائل قد أسرفوا في التعليل لآرائهم ومذاهبهم ، حيث كان الخلاف – في بعض المسائل- ميداناً لتصارع الحجج النظرية التي تُرَدَّد خلالها القضايا الفلسفية كالأصالة والفرعية وغير ذلك ، الأمر الذي جعل من الواجب الحث علي عدم الإسراف في العلل النحوية ، والتعمق فيها ، والاكتفاء بالتماس العلة الأولي التي تحمل التبرير المباشر للظاهرة الإعرابية .

٢٢- أثبت البحث أن دراسة المسائل الخلافية ذات أهمية بالغة ؛ - إذ هي جانب بارز من جوانب النحو العربي الذي انكب عليه النحويون العرب بالدرس والتفصيل ، فشهد مناقشات غزيرة ، وكشف عن مسائل خلاف واسعة النطاق ، مما يدل علي أهميتها في التراكيب النحوية ، والبلاغية ، بل وفي تفسير كتاب الله – عز وجل – .

- فضلاً عما ترمي إليه من إثراء الباحث بالدروس النحوية ، والوقوف من خلالها علي معرفة الغث من السمين ، والجيد من الرديء .

- أضف إلي ذلك أنها تمدنا بشعاع هاد يمكن أن يستضاء به في العمل علي إصلاح لغتنا ، وتجديد قواعدها بما لا يخرجها عن خصائصها الطبيعية ، وواقعها وحسها اللغوي ، فكل دعوة إصلاحية مما لا شك فيه تمت بسبب وثيق إلي رأي من آراء علمائنا الأقدمين .

- كما أنه هناك من مسائل الخلاف ماله أهمية خاصة تفتح آفاق البحث النحوي أمام الدارسين ، وتدفعهم لآراء تراعي الواقع اللغوي ، وتحترمه ، وتقدره .

- وأخيراً : تأريخها لجانب هام من جوانب حضارتنا العربية اللغوية ، وشرحها للظروف التي ألمت به ، في مرحلة زمنية امتاز فيها علماؤنا بالسيادة علي الأمم في سائر العلوم .

٢٣- أوضح البحث أن النحاة في بعض المسائل التي تتعلق بالعامل ، قد أوغلوا فيه كثيراً ، والواجب أن نبقي علي العامل باعتباره منهجاً تربوياً ، ورمزاً للتأثير الصوتي في الجمل العربية ، الذي علي أساسه يتغير الضبط ، مع كونه وسيلة تعليمية مقربة يسند لها التأثير في الظاهرة الإعرابية .

٢٤- وافق البحث الكيشي في واحد وثلاثين مسألة ، وخالفه في ثماني مسائل ، ووافق البصريين في اثنتين وثلاثين مسألة ، ووافق الكوفيين في أربع مسائل .

٢٥- أثبت البحث أن كثيراً من الآراء المبثوثة في كتب النحو تحتاج إلي تحقيق ، وتوثيق ، ومراجعة من مدوناتها الأولي ، ومن مصنفات العلماء مباشرة – عند وجودها – ، وإعمال العقل والفكر والبحث والتنقيب في بطون أمات الكتب ، والمؤلفات النحوية الموثوق بها عند فقدها ؛ إذ قد نسب لكثير من العلماء ما لم يقولوه ، وما هم منه براء ، وقد مضت في البحث أمثلة ذلك وأدلته .

٢٦- بين البحث وقوع تناقضات كثيرة في أقوال بعض العلماء ، فحاول دراستها دراسة جادة ، مُوَفِّقاً بينها تارة ، ورادّاً معترضاً أخري .

٢٧- وأخيراً : فإلي جانب ما امتاز به الكيشي في إرشاده من ميزات وحسنات تدل علي أنه صاحب عقلية متميزة ، وشخصية مستقلة تعرف جيداً كيف تدبر الأمور ، وتناقش القضايا بأسلوب علمي مركز ، بدت في « الإرشاد » بعض الهنات والملاحظات التي لا تنقص أبداً من قدر هذا العالم المصنِّف الفذ الواعي ، ولا مصنَّفِه المفيد الجامع ؛ ذلك أن تلك هي الطبيعة السليمة ؛ فلكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ، والعمل الإنساني لا يوصف أبداً بالكمال ، فالله – تبارك وتعالي – قد أبي أن يكون الكمال والحفظ التام لغير كتابه الكريم .

*** هذه هي أهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال الدرس والمناقشة ، أما عن التوصيات ، والمقترحات فهي :-**

١ - ضرورة العمل علي استقراء مسائل الخلاف النحوي من أمات كتب النحو ، ودراستها دراسة موضوعية منهجية تسهم في تطور الدراسات النحوية ، خاصة بعد أن نادت أصوات كثيرة بالعمل علي إصلاح علم النحو ، وتبسيط قواعده ، وعدم شغل الدارسين ، خاصة المبتدئين في الدرس النحوي بكم كبير من الاختلافات في بعض مسائل الفروع النحوية ، وأن يكتفى في مجال هذه الدراسة من مبادئ المنطق والفلسفة بما ينظم الأفكار ، وينسق القواعد ، ويجعلها مرتبة ترتيباً موضوعياً ييسر فهمها ، والإلمام بها ، وأن تستبعد المسائل الخلافية التي لا ثمرة لها في الدراسات النحوية ، والتي لا تجدي نفعاً ، وتحمل طابعاً عقلياً نظرياً بحتاً .

ضرورة توجه همة الباحثين نحو الاهتمام بالنحو العربي ، وبخاصة الكوفي منه ؛ حيث أنه بحاجة إلي مراجعة أصوله من مدوناته الأولي ، ومن مصنفات علمائه مباشرة عند وجودها ، وإعمال العقل والفكر والبحث والتنقيب في بطون أمات الكتب النحوية الموثوق بها عند فقد شيء من تلك المصنفات ؛ لتصويب بعض ما ذكره المتأخرون من النحويين في مؤلفاتهم من آراء بعض المتقدمين .

- مع ضرورة اتجاه الباحثين وجهة أخري غير تلك التي درجوا عليها في الدراسة من محاولة التوفيق بين آراء البصريين والكوفيين أحياناً ، أو محاولة ردها ، ونسبتها إلي الشذوذ والندور والوهن تارة أخرى .

- بل يجب - كما ذكرت - التثبت أولاً من كل رأي نسب إلي أي من العلماء بمراجعة مصنفاتهم مباشرة ، ثم ليأخذ البحث حقه ومساره بعد .